

آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره)

المبلغون والتربية العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين).

بمناسبة قرب حلول شهر محرم الحرام، أرى من المناسب والضروري أن يكون لدينا حديثاً مختصراً حول موضوع الذهاب إلى التبليغ، وإرشاد الناس إلى المسائل الشرعية وتوعيتهم في مسائل الحياة وبصورة خاصة ما يتعلق بالجانب السلوكي للمبلغ. ففي كل مرحلة من حياة الإنسان لابد له من تحصيل العلم ولا يجوز أن يتوقف الإنسان في فترة ما عن مواصلة طلب العلم، والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هو معلم البشر وأكمل إنسان على وجه الأرض كان طلبه من الله تعالى مزيداً من العلم (وقل رب زدني علماً)¹، لذلك ينبغي على الإنسان الذي يؤدي مهمة التبليغ والإرشاد أن تكون لديه حصيلة لا بأس بها من الثقافة والعلوم والالمام بمسائل الشريعة والأحكام الإسلامية وخاصة ما يقع منها على تماس مع حياة المجتمع، والموضوعات التي تُلبي حاجات ورغبات الناس وما يتوقعون لسماعه والتطرق إلى الظواهر السلبية في المجتمع وسبل معالجتها من أجل بناء مجتمع إسلامي تقوده القيم والمبادئ الإسلامية السامية.

[المبلغ أول عامل بعلمه]

الذي نود التركيز عليه في كلامنا اليوم يتعلق بشخصية المبلغ وسلوكه مع الناس فينبغي للشخص الذي يتبنى مهمة التبليغ وارشاد الناس ان يبدأ بنفسه ويظهرها ويزكيها من الرذائل إلى الحد الذي يكون معه مجسداً لكلمة إنسان حتى تكون شخصيته وسلوكه مصداقاً لما يقوله ويأمر به الآخرين، عندها يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى ويكون تأثيره على المتلقي تأثيراً مباشراً وفاعلاً. وإلا حامل العلم مالم يكن عاملاً به فحسابه عند الله عسير ويكون ذلك ابلغ في الحجة عليه. النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يصف ذلك قائلاً : [رأيت ليلة أسري بي إلى السماء قوماً تقرض شفاههم بمقاريض من نار ثم ترمى فقلت : يا جبرائيل : مَنْ هؤلاء؟ فقال : خطباء أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون]². وبنفس هذا الاتجاه ورد في الروايات ان يوم القيامة يسمى يوم الحق، لأن الناس في ذلك اليوم يظهرون على حقائقهم، فإذا كان الإنسان في دار الدنيا مأكراً سيظهر يوم القيامة على صورة ثعلب وإذا كان فيها متكبراً سيظهر على هيئة النملة وهكذا الآخرون بهيئات مختلفة تبعاً لحقيقتهم.

وقد ورد في القرآن الكريم ان جمعاً من بني إسرائيل مسخوا على أثر معصيتهم لله تعالى على هيئة حيوانات كالقردة مثلاً، قال تعالى : (كونوا قردة خاسئين)³ و (جعل منهم القردة والخنازير)⁴. إضافة إلى العقوبة الأخروية التي تنتظر هؤلاء الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم فإنهم سيفقدون تأثيرهم ومصداقيتهم وسوف لن يكون لمواعظهم صدى في قلوب الآخرين.. يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : (ان العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت

2 - الوسائل : ج 11 ص 420.

3 - البقرة 65.

4 - المائدة 60.

وهذه إحدى بركات وجود رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) في عالم الدنيا إذ منذ أن تشرفت ببعثته رفع الله المسخ عن الناس ولم تعاقب به أية أمة ولن تعاقب.

موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا)⁵.

إذن فأول ما يهتم به المبلغ هو تقديم سلوكه الشخصي وان يبدأ بنفسه يراقبها ويحاسبها ويرى نفسه هل هو فعلاً يجسد شخصية الإنسان المؤمن العامل أم لا؟ إذ ربما يحتاج إلى صقل أكثر وهمة أكثر، أما معيار السلوك ومدى مطابقته لما جاءت به الشريعة السمحاء، أو عدم مطابقته فإن الإنسان اعلم بذاته من غيره (بل الإنسان على نفسه بصيرة)⁶.

يقول بعض الرواة : إن شخصاً كتب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : هل لي ان اترك الصوم بسبب ما اعانيه من مرض؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): (بسم الله الرحمن الرحيم بل الإنسان على نفسه بصيرة). لأن الناس في دار الدنيا يعلمون أي الأفعال يتوجب تأديتها عليهم، وأي حال يجب ان يكونوا عليه وما هو موقعهم في ميزان الخير.

التبليغ سبيل الهداية

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : [ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم ان يعلموا]⁷.

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام) : [.. من أوجب حق أخيك ان لا تكتمه شيئاً ينفعه لا من دنياه ولا من آخرته]⁸.

والتبليغ من أهم وسائل تعليم الآخرين ونفعهم وهدايتهم نحو الطريق الصحيح، والمسؤولية في هذا المجال تشمل جميع أبناء المجتمع الإسلامي، وبصورة خاصة الخطباء وطلبة العلوم الدينية، فينبغي أن يكون لهم دور فعال في القيام بمهمة تعليم الناس وتنقيفهم لأن الثقافة هي التي ترسم للأجيال مسيرتها وتحدد طريقة تعامل الأمة مع الأحداث والوقائع وهي التي تعين مستقبل الأمة.

5 - الكافي : ج 1 ص 44.

6 - سورة القيامة : 14.

7 - نهج البلاغة - قصار الحكم 478.

8 - البحار : ج 2 ص 75.

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: [زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه]⁹، فعليكم تأدية هذه الزكاة بنشر مبادئ وأحكام الإسلام لكي تحكم قوانين الإسلام في كل أنحاء البلاد الإسلامية، وعليكم الاهتمام بإرشاد المسلمين وتبيين المسائل الشرعية حتى ما يتعلق منها بالمكروهات التي يتعامل معها البعض جهلاً وكأنها مباحات أو مستحبات، وكذلك بعض المحرمات التي غفل عنها الناس جهلاً. وهنا سألفت نظركم إلى بعض المحرمات التي يتعامل بها الكثير من الناس وغالباً ما ينظرون لها بعين الاستصغار كأنها من المكروهات مثل الغيبة والكذب والاحتكار وسوء الخلق، هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تفقد المجتمع كل مقوماته الحيوية والوحدة عليكم معالجتها والإشارة إلى أخطارها الدينية والاجتماعية ودورها في تفكيك المجتمع وفساده.

المبادرة للإصلاح

المحقق عبد العالي الكركي (ره) من علماء الشيعة المعروفين وله كتب فقهية في مجالات مختلفة ومما يذكر عنه أن أحد السلاطين في أيام الحكم الصفوي قام بخلع التاج من على رأسه ووضعه على رأس المحقق الكركي (ره) وقال له أنت الحاكم على بلاد المسلمين وأنا المنفذ لأوامرك أقول هذا الثاني وقبل (400 سنة) تقريباً وجه خطابه إلى التجار والبائعين في أسواق أصفهان قائلاً: (اني أخاف أن يصبح سوقكم سوقاً لا إسلامياً، لأنني سمعت برواج الكذب أحياناً في التعامل بالأسواق).

فبمجرد أن لاحظ بواذر الانحراف قد دبّت في سوق المسلمين سارع إلى التنبيه والمعالجة وهذا ليس اعتباطاً بل ان الإسلام هو الذين يدفع الإنسان باتجاه السلوك الصحيح ويحمله مسؤولية معالجة الخلل في المجتمع عند بداياته. ومن الواضح أن مسؤولية العلماء أكبر وأعظم من مسؤولية غيرهم من الناس، فالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (العلم وديعة الله في أرضه والعلماء امناءه عليه فمن عمل بعلمه ادى أمانته ومن لم

يعمل كتب في ديوان الخائنين¹⁰.

وهذه واحدة من أسرار خلود الدين الإسلامي ومواكبته لكل الأزمنة والعصور طبعاً هذا لأن أحكام الإسلام مطابقة حقاً لفطرة الإنسان.

كل يوم عاشوراء

الشعار الذي يتردد على ألسنتنا دائماً (كل يوم عاشوراء) ماذا يعني؟ وماذا نقصد فيه عندما نردده؟

هل يعني أننا يومياً يجب أن نتوشح السواد ونقيم المآتم فقط ولا نعمل أي شيء آخر؟ لا طبعاً.

هذا الشعار يعني ان يومياً هناك مواقف تقترب من مواقف عاشوراء، هناك أناس يحملون الرسالة الإسلامية بمبادئها وأحكامها وهناك في الجانب الآخر المتهاكون على حب الدنيا والثروة والمكاسب المادية يتصدون لحملة الرسالة بمعنى آخر ان الإنسان يومياً يدعوهُ إسلامه إلى الوقوف إلى جانب المبادئ التي حملها سيد الشهداء (عليه السلام) وهناك دعوة يوجهها له الشيطان للانحراف عن هذه المبادئ بالانتماء إلى معسكر عمر بن سعد واصحاب الرذائل. إما أن تخذعنا الدنيا دار الغرور وننتهي إلى معسكر ابن سعد أعاذنا الله وإياكم منها وإما أن نتعلق بالآخرة ونزهد بالدنيا وملذاتها وننتهي إلى قافلة الإمام الحسين (عليه السلام) هذا هو الذي يجب أن نفهمه من معنى الشعار المذكور، طبعاً لبس السواد وإقامة الشعائر على سيد الشهداء هذه من الضروريات اللازمة على كل محب لأهل البيت (عليهم السلام) وهو من الأعمال التي لها فضل ومقام عند الله سبحانه وتعالى ولكن كلامنا هو أننا كما يجب أن نتمسك بمظاهر الحزن وإقامة الشعائر، كذلك يجب أن نفهم حقيقة الشعائر ومضمونها ومحتواها الأصل الذي أراده منّا الإسلام، لذا يجب عليكم أن تختاروا لأنفسكم بأن تكونوا في صفوف جيش الإمام الحسين (عليه السلام) لا في صف يزيد واتباعه وعليكم إحياء كربلاء الحسين لكي يزداد أنصار معسكر الإمام الحسين (عليه

(السلام) وعندئذ صلاح الدين والدنيا.

الأعداء يستهدفونكم

ذهب جماعة إلى ستالين أيام حكمه لمناقشة الخطورة التي تشكلها الجمهوريات¹¹ التي يقطنها المسلمون وبخاصة منهم الشيعة، لمعرفة الخطة لمواجهة ذلك. فكانت إجابة ستالين: إن هذا الموضوع ليس مهماً وهو نتيجة لا سبب، المهم هو إزالة كربلاء، المهم هو وصولنا إلى كربلاء وإزالتها من الوجود، لأن كربلاء هي التي تعد المبلغين وتقيم المجالس وتهتم بنشر مبادئ الإسلام وهذا يؤدي إلى بروز قدرة الشيعة الذين تتنامى أعدادهم ويزداد تأثيرهم.

لاحظوا كم يحسب لكم الأعداء من حسابات ولذلك تكون مواجعتهم لكم قوية بمستوى حساباتهم وبمستوى تأثيركم في البلاد الإسلامية وفي العالم.

لذا عند استلام عبد السلام عارف السلطة في العراق ومن جاء من بعده كالبكر وصادم وغيرهم ركزوا جهودهم وقدراتهم وخبرة أسيادهم لمنع إشعاعات الفكر الإسلامي التي تنبعث من المجالس الحسينية والمراسيم الدينية فقاموا بالتضييق عليها ومنها لأن هذه المجالس هي التي تأخذ بيد الإنسان نحو طريق الهداية، ونفس الأمر قام به الشاه في إيران أيضاً.

فعليناكم إذن أن تتحسسوا بعمق المؤامرات والمخططات التي تحاك ضدكم وتستهدف انزال الضربة بكم في نفس موضع قوتكم. وبدل أن تسمحوا لأعدائكم بذلك عليكم أن تمنحوا هذه المجالس كل قوتها وزخمها في الهداية والتأثير في نفوس الناس، وهذا ما بإمكانكم تحقيقه شرط أن تراقبوا أعمالكم وسلوككم عندئذ تستطيعوا أن تتركوا أثراً محموداً في قلوب المؤمنين وتكون مجالسكم دليلاً للناس نحو الهداية والصلاح.

11 - الجمهوريات : طاجاكستان، تركمستان، أرمستان، كازاخستان، أذربايجان، قرقيزيا، ويقطن هذه الجمهوريات بحدود 40 - 50 مليون مسلم شيعي من الأكثرية المسلمة.

لا للعجب بالذات

الشيخ علي القمي (ره) أحد علماء النجف الأشرف وقد عرف بين الناس بتقواه وزهده حتى أن المراجع العظام آنذاك كانوا يحضرون للصلاة خلفه.

في إحدى السنين سافر (ره) قاصداً مدينة مشهد المقدسة لزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) ولما وصل إلى طهران تقدم جماعة بالطلب من الشيخ لإقامة الصلاة في أحد مساجد طهران وبعد أن اعتذر عن الحضور أولاً وافق فيما بعد وأقام الصلاة في المسجد، فكان المسجد يكتظ بالمصلين هذا الأمر لم يرق لجماعة من الطهرانيين، وخشوا أن يكون لانتشار الوعي في صفوف الناس تأثيراً على مصالحهم التجارية فبدأوا يحيكون الدسائس له ليتمكنوا من عزله عن الناس وبينما الشيخ في طريقه لزيارة الشاه عبد العظيم إذ أصيب بإغماء أسقطه من حماره ونقل على أثره إلى المستشفى فقامت تلك الجماعة بترويج شائعة كاذبة بين الناس مفادها ان الشيخ قد أصيب بالجنون¹²، وقد وصلت هذه التهمة إلى مسامع الشيخ وبعدما تماثل الشيخ للشفاء جاء ثانية وفي يوم الجمعة إلى المسجد فرأى أن كثرة جموع المصلين وازدحامهم لم تختلف عما كانت عليه في كثرتها فتحدث في نفسه قائلاً: أين أولئك الأشخاص ليأتوا ولينظروا كم هم الذين يصلون خلف الشيخ القمي؟ ولكن انتبه إلى نفسه حالاً وفوجئ الناس بالشيخ علي القمي وقد وضع عباءته على كتفيه ليرحل فسأله الناس متعجبين من خروجه في هذا الوقت فاجاب : (الآن اتضح لي أن صلاتي هنا كانت لا تحمل ذلك الإخلاص الذي كنت أسعى له). أي انه (ره) أخذه العجب بنفسه، وفي نهاية المطاف استأجر حماراً وواصل طريقه باتجاه مشهد المقدسة.

هذا هو النموذج القدوة لاحظوا كيف حاسب نفسه وتصرف على ضوء محاسبتها وهكذا فنحن بمحاسبة النفس وتحليلتها بالأخلاق الحسنة والافتداء بسيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) والعلماء الأعلام نستطيع أن ننقل وبأمانة رسالة الأنبياء (عليهم السلام) ورسالة الإمام الحسين (عليه السلام) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) إلى الناس ولا بد لنا في هذا المجال من تحمل المشقة والعناء

12 - كما وجهت هذه التهمة مراراً إلى الأنبياء (عليهم السلام).

واجتياز العقبات الطبيعية والمصطنعة لكي نصل إلى المستوى الذي يؤهلنا لأداء هذه الرسالة والأمانة بإذن الله تعالى. ونسأله تعالى أن يبارك في مسعاكم في هذه المهمة النبيلة لخدمة الإسلام والمسلمين.

(الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً)¹³.

من هدي القرآن الحكيم

القول البليغ :

(... وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين)¹⁴.

(أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً)¹⁵.

(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين)¹⁶.

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إلهٌ واحد وليذكر أولوا الألباب)¹⁷.
العلم والعمل به:

(أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)¹⁸.
(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير)¹⁹.

التبليغ الإسلامي:

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك

13 - سورة الأحزاب : 39.

14 - النور : 54.

15 - النساء : 63.

16 - المائدة : 92.

17 - إبراهيم 52.

18 - البقرة : 44.

19 - البقرة : 110.

هم المفلحون)²⁰.

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..)²¹.

ترك العجب بالأعمال:

(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)²².

من هدي السنة المطهرة

كونوا دعاة بأعمالكم:

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) أنه قال:
(إن الوعظ الذي لا يمجه سمع ولا يعدله نفع ما سكت عنه لسان القول ونطق به لسان الفعل)²³.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :
(كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإن ذلك داعية)²⁴.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :
(أي مفضل : قل لشيعتنا كونوا دعاة إلينا بالكف عن محارم الله واجتناب معاصيه واتباع رضوانه فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا سارعين)²⁵.

20 - آل عمران : 104.

21 - آل عمران : 110.

22 - فاطر : 8.

23 - غرر الحكم : ص 225.

24 - الكافي : ج 2 ص 78.

25 - مستدرک الوسائل : ج 2 ص 363.

وجوب البلاغة في التبليغ

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال :
 (إن من البيان سحراً ومن العلم جهلاً ومن القول عيًّا)²⁶.
 عن الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) قال :
 (أحسن الكلام ما زانه حسن النظام وفهمه الخاص والعام)²⁷.
 عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :
 (ليست البلاغة بحدة اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى وقصد
 الحجة)²⁸.

سئل الإمام الصادق (عليه السلام) ما البلاغة؟ فقال :
 (من عرف شيئاً قلّ كلامه فيه وإنّما سمّي البليغ لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه)²⁹.

ترك العجب بالأعمال:

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال :
 (ان رجلاً كان في بني إسرائيل عبد الله تبارك وتعالى أربعين سنة، فلم يقبل منه فقال لنفسه
 ما أتيت إلا منك ولا أكديت إلا لك فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ذمك نفسك أفضل من
 عبادة أربعين سنة)³⁰.
 عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قال الله عز
 وجل :
 (لا يثكل العاملون على أعمالهم التي يعملون بها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا وأنعبوا أنفسهم
 وأعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتي كنه عبادتي فيما يطلبون من

26 - تحف العقول : ص 46.

27 - غرر الحكم.

28 - تحف العقول : ص 230.

29 - تحف العقول : ص 264.

30 - البحار : ج 68 ص 228.

كرامتي والنعيم في جناتي... الحديث³¹.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) : (لا وحدة أوحش من العجب)³².

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال :

(إن العبد ليزنب الذنب فيندم عليه ثم يعمل العمل فيسره ذلك، فيتراخى عن حاله تلك ولأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه)³³.

جاء في نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في ثمرة العلم والعمل به :

- 1 - (العالم من شهدت بصحة أقواله أفعاله).
- 2 - (العلم مقرون بالعمل فمن علمَ عمل).
- 3 - (اطلبوا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله).
- 4 - (إذا رمت³⁴ الانتفاع بالعلم فاعملوا به وأكثروا الفكر في معانيه تعيه القلوب).
- 5 - (أشرف العلم ما ظهر في الجوارح والأركان)³⁵.

31 - البحار : ج 68 ص 228.

32 - نهج البلاغة : ج 2 ص 168.

33 - البحار : ج 68 ص 231.

34 - رمئ : أردئ.

35 - غرر الحكم ودرر الكلم ص 45.